

مفاهيم القرآن

(55) رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) (النازعات: 23 - 25). (قَالَ (لأي فرعون لموسى عليه السلام) لَتَنُ إِتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ) (الشعراء: 29). وقد بلغ به الاستبداد إلى أن يوجد الكبت في المجتمع ويقف دون يقظتهم ووعيهم، بحيث لو لمس فيهم ذلك نكّل بهم وعذبهم أشدّ العذاب: (قَالَ -ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ -ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا وَسْوَفَ تَعْلَمُونَ لَاقُطَّعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَاصِلًا بَيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيَّ نَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى) (طه: 71). إن الحاكم الاستبدادي لا يتحمل حركات التوعية والإصلاح، ولذلك يتهم أصحابها بكلّ تهمة كما فعل فرعون بالنسبة لموسى - عليه السلام - ودعوته الإلهية المباركة حيث اتّهمه فرعون وأخاه بأنّه يطلب الزعامة: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا بِنَا وَأَجِدُوْنَا عَٰدُوًا وَجَدُوْنَا عَٰلِيَيْنَا أَبَاءَنَا وَتَكُؤُنَ لَكُمَا الْكُبْرَيَا ءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) (يونس: 78). بل ينفر الناس عن أولئك المصلحين، وأصحاب الرسائل بأنّهم يريدون إشقاء الناس وخداعهم وتضليلهم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسَىٰ وَكَانَ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (طه: 56-57). (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا نَحْنُ لَنَسَاحِرَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا نَجْمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ أَوْ أَهْلَ الْأَرْضِ) (طه: 63). وربّما يصوّر للناس وضعهم الأسود البائس تصويراً جميلاً ويلقّٰنهم بأنّ ما هم فيه من طريقة، هي الطريقة المثلى كما يقول ذلك عن لسان فرعون وملائته: (إِنَّ هَٰذَا نَحْنُ لَنَسَاحِرَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا نَجْمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ أَوْ أَهْلَ الْأَرْضِ) (طه: 63). وقد يبلغ الاستبداد بالحاكم المستبدّ حداً يجعله يتوسّل بكلّ وسيلة للحفاظ على عرشه حتّى ادّعاء التديّن، والتستّر به، ونصب نفسه حامياً لحياض الدين مع أنّّه يريد في قرارة نفسه -؛ هدم الدين والقضاء عليه من جذوره، وربّما يتّهم من يريد إرشاد